نظرية المجال (ليفين)

حياته

ولد في بروسيا عام ١٨٩٠ والتحق بجامعات فرايبرج وميونخ وبرلين والتي حصل منها على شهادة الدكتوراه عام ١٩١٤ وبعدها التحق بالجيش الالماني مدة ٤ سنوات ، عين استاذاً لعلم النفس عام ١٩٢٦ ثم عمل في جامعة ستانفورد ثم انتقل الى امريكا ليقيم فيها بصورة دائمية ليعمل استاذ في جامعة كوبل لمدة عامين ثم عمل في مركز رعاية الطفولة في جامعة ايوا وعمل بعدها في معهد ماساشوستس ، توفي في مدينة ماساشوستس عام ١٩٤٧ .

المفاهيم الاساسية للنظرية

اولاً/ حيز الحياة

يعد مفهوم حيز الحياة من اهم المفاهيم التي طرحها ليفين في نظريته ويعني به جميع الوقائع التي تحدد سلوك الشخص في وقت محدد في موقف ما ، وهذا السلوك قد يرتبط بأحداث انية حاضرة او بأحداث ماضية او قد يرتبط بالمستقبل ، فحيز الحياة يمثل البديل الذي يسافر اليه الشخص في لحظة معينة وفي موقف ما ويتأثر بالوقائع الموجودة في البيئة السايكولوجية للشخص سواء كانت اماكن نذهب اليها جسمياً او قد نفكر باحداث في طفولتنا من الماضي او قد نفكر في موضوع ما نتوقعه في المستقبل .

حيز الحياة ينقسم الى ما يلي :

أ-الشخص : هو منطقة متداخلة في حيز الحياة وقد صوره لنا ليفين كدائرة تحتوي على جزئين الجزء الاول : يمثل الجزء الخارجي ويتضمن المنطقة الادراكية الحركية

الجزء الثاني : هو الجزء المركزي ويتضمن المنطقة الشخصية الداخلية وهذا الجزء المركزي يحيط احاطة تامة بالجزء الاول بحيث لا يتيح لها فرصة الاتصال المباشر بالحدود التي تفصل الشخص عن البيئة وان كان نظام مستقل عن الاخر

ب-البيئة السايكولوجية : وهي تمثل الواقع السايكولوجي الذي يحيط بالشخص داخل حيز الحياة في لحظة ما وفي وقت ما وفي موقف ما بما تحمله من وقائع مختلفة تؤثر تأثير كبير على سلوك شخص ما في تلك اللحظة ، وهذه البيئة قد تتغير

بين لحظة واخرى ومن موقف لأخر ، نتيجة لما يحيط بها من وقائع موجودة في البيئة الفيزيقية الاكبر منها والتي هي ليست جزء من حيز الحياة لكن هي قادرة على النفاذ عبر الحدود النفاذة التي تفصلها عن البيئة النفسية ، وقد اطلق عليها ليفين وقائع الغلاف الغريب اسم (الايكوجولوجيا السيكولوجية) .

ثمة خاصية اخرى لحيز الحياة ان الشخص الموجود في هذا الحيز ليس جزء من بيئته النفسية لوجود الحدود الفاصلة بينهما لكن بسبب نفاذية هذه الحدود جعل امكانية نفاذ الوقائع الموجودة داخل البيئة النفسية المحيطة بالشخص ان تؤثر عليه .

ان كل من الشخص والبيئة النفسية ينقسمون الى عدة مناطق متمايزة وهذه المناطق متصلة مع بعضها عندما يتحرك بينهما الشخص وهذا التحرك يتميز بالاقتراب عندما ينظر لشيء جميل فيها او الابتعاد عنها عندما يصرف النظر عن شيء قبيح فيها .

اذن ما الذي يحدد عدد المناطق في حيز الحياة ؟

ان الذي يحدد هذه المناطق هو عدد الوقائع النفسية المنفصلة التي توجد في اي لحظة معينة فعندما يكون هناك واقعتان تكون هناك منطقتان في حيز الحياة واذا كانت البيئة تحتوي على واقعتين احدهما للعب والاخرى للعمل وتحتوي كل واقعة منهما على انواع مختلفة من الوقائع يصبح من اللازم تقسيم كل واقعة الى مناطق جزئية بقدر ما يوجد من وقائع منفصلة وهكذا قد تتفاضل مناطق جديدة من حيز الحياة عندما تظهر الى الوجود واقعة جديدة وبالعكس قد تختفي منطقة عندما تختفي واقعة وقد تمتزج بواقعة اخرى .

فالشخص قد يتحرك بسهولة من المنطقة التي هو عليها الى منطقة اخرى قد تأثر بها ويصبح هذا الاتصال وثيقاً وتتبادل التأثير بينهما وهذه الحركة التي قام بها الشخص هي ليست حركة فيزيقية في فراغ بل هي بالأحرى تحركات اجتماعية كالاشتراك في نادي رياضي او تحركات مهنية كتشغيل الة ما ، او تحركات عقلية بحل مسألة رياضية اذا فأن من خواص البيئة النفسية انها منطقة من الممكن حدوث التحركات داخلها عندما يقوم الشخص بالتحرك فأنه يعبر ممر عبر البيئة وتحدد اتجاه هذا الممر والمناطق التي يمر بها قوة الحدود التي تفصل فيما بينها ومرونة المناطق

ويشير ليفين ان لحيز الحياة بعدان اخران هما (الواقع – اللاواقع) ، (الماضي – الحاضر) ، فالواقعية تتضمن حركة فعلية يقوم بها الشخص داخل حيز الحياة بينما اللاواقعية هي حركة تخيلية وهمية والحركة تكون فيها اسهل بكثير على الاداء

عندما يتحرك الشخص في اتجاه اللاواقعية اذ تصبح الحدود اقل صلابة وخصائص السطح للمناطق اكثر مرونة

اما بعد الماضي – الحاضر فهو يمثل البعد الزمني لسلوك الشخص داخل حيز الحياة وفيه يكون السلوك الراهن للشخص لا يمكن ان يتأثر بالماضي او الحاضر لكن اتجاهات ومشاعر وافكار الشخص عن الماضي والحاضر قد يكون لها تأثير على سلوكه

ثانياً /الطاقة النفسية

يشير ليفين ان الشخص داخل حيز الحياة عبارة عن نظام معقد من الطاقة وهذه الطاقة تنطلق عندما يكون الشخص في حالة من عدم التوازن وهذه الحالة ينتج عنها ازدياد في معدل التوتر ، فالطاقة تعمل على تساوي التوتر داخل الشخص وعندما يتساوى التوتر يتوقف توليد هذه الطاقة مما يحقق حالة من الارتياح لدى الشخص

ثالثاً/ التوتر

هو عبارة عن حالة من عدم التوازن في النظام الشخصي الداخلي للشخص داخل حيز الحياة ، وللتوتر خاصيتان الاولى انه يميل الى معادلة النظام المرتفع بالتوتر بالانظمة الاخرى المنخفضة التوتر وتسمى هذه الوسيلة النفسية (العملية) وهذه العملية قد تكون عملاً فعلياً او تفكيراً او تذكراً او ادراكاً ، اما الثانية فان التوتر يواصل الضغط على حدود النظام بحسب صلابتها او مرونتها فالتوتر قد يمنع من الانتقال الى النظم المجاورة اذا كانت الحدود صلبة وعادة ما يشارك النظام المتوتر اكثر من نظام اخر اذا كانت الحدود بينهما تتسم بالمرونة

رابعاً / الحاجة

هي حالات دافعة للشخص احتلت منطقة متميزة في الشخص من الداخل ، وان اي رغبة في شيء من البيئة لتحقيق هدف معين يمكن ان يصبح حالة دافعة وحاجة ملحة تتطلب الاشباع ، والحاجات قد تكون فسيولوجية كالجوع والعطش والجنس ، او حاجات تحددها الى حد كبير عوامل اجتماعية ، وقد ميز ليفين بين الحاجة كقصد محدد التي تعود الى حالة داخلية وشبه الحاجة

خامساً / التكافؤ

هو عبارة عن خاصية تصورية ذهنية لقيمة المنطقة في البيئة النفسية وهذه القيمة قد تكون ايجابية لدى الشخص عندما تحوي على موضوع يشبع حاجة الشخص

ويخفض توتره او قد تكون قيمتها سلبية لدى الشخص عندما تحوي على موضوع لا يشبع حاجة الشخص ويهدده ، فالمنطقة التي يتوافر فيها الطعام للشخص الجائع يكون تكافؤها ايجابياً بينما المنطقة التي يكون فيها الامتحان للطالب الكسول تكافؤها سلبياً .

سادساً / المتجه

هي القوة المحركة لسلوك الشخص والناتجة من بيئته وتتسق مع حاجاته نحو الاشياء التي تجذبه ، فأذا كان هناك متجهاً واحداً نحو منطقة حاصلة على تكافؤ ايجابي فسوف يسير الشخص نحو هذا المتجه ، اما اذا كان تكافؤ المنطقة سلبياً فسوف يسير الشخص بعيداً عنها ، واذا ما واجه الفرد متجهين متضادين في تكافؤهما بنفس المنطقة فالنتيجة الحادثة هي الصراع

سابعاً/ الحواجز والحدود

هي عبارة عن ممرات يعبرها الشخص في تحركاته خلال البيئة النفسية ، وهذه الممرات هي عبارة عن حواجز او حدود متمثلة بأشخاص او اشياء او اعراف اجتماعية واخلاقية او اي شيء يعوق الشخص في الوصول الى اهدافه ، وهذه الحواجز قد تكون سهلة الاختراق للوصول من خلالها الى الهدف او قد تكون صعبة الاختراق ، لذل فأن الشخص في هذه الحالة يبحث عن الحدود الضعيفة الصلابة لتحقيق اهدافه وتصبح هذه الحواجز ذات قيمة ايجابية لديه بينما الحواجز الصلبة تكون قيمتها سلبية .

يشير ليفين الى ان الحدود لا تتشابه في المراحل العمرية للشخص ففي الطفولة تكون الحدود قليلة واقل صلابة من حدود الراشد وبيئته النفسية ، ولذلك فأن الطفل يكون اكثر عرضة لتأثيرات البيئة وانه يستطيع تفريغ توتراته الداخلية بسهولة اكثر مما يستطيع الراشد ، وان الطفل اكثر اتصالاً ببيئته من الراشد .

ثامناً / الوقائع

يقصد بها الاشياء التي يمكن ملاحظتها في حيز حياة الشخص مثل كرسي او مباراة في كرة القدم او اشياء قد لا يلاحظها مباشرة بل يمكن ان يستنتجها من شيء اخر يمكن ملاحظته

تاسعاً / الحوادث

هي نتاج تفاعل بين عدد من الوقائع فالكرسي والشخص كل منها واقعة ، اما الشخص الجالس على الكرسي فهو حدث ويقال عن حالة المنطقتين بانهما متصلتان عندما يكون اتصال بين واقعتين في منطقتين مختلفتين .

دينامية الشخصية

يشير ليفين ان دينامية الشخصية يرتبط بدرجة كبيرة بمفهوم الحاجة لدى الشخص التي بدورها تطلق الطاقة وتستثير التوتر في المنطقة الشخصية الداخلية ، الجهاز الراغب في تلك الحاجة وهي تضيف التكافؤ المطلوب لتلك المنطقة فقد يكون سلبياً او ايجابياً مما تخلق قوة قد تدفع الشخص نحو هذه المنطقة اذا كان تكافؤها ايجابياً ، وقد تدفعه للابتعاد عنها اذا كان تكافؤها سلبياً ، وفي ضوء ذلك سيتحرك الشخص مقترباً من المنطقة ذات التكافؤ الايجابي من خلال الحدود التي تفصل بينهما وكلما كانت هذه الحدود مرنة اقترب من تلك المنطقة والوصول اليها بكل يسر وسهولة ، اما اذا كانت الحدود صلبة وتبعده من تلك المنطقة يبدأ الشخص بالتفكير بحاجة جديدة تكون حدودها مرنة لتقربه من المنطقة التي يرغب في الوصول اليها لتحقيق حالة التوازن ، وقد وضح ليفين هذه العملية بتمثيلات طوبولوجية يمكن ان تصل الى درجات بالغة من التعقيد ،

ويشير ليفين ان ديناميات البيئة النفسية يمكن ان تتغير بأربع طرق هي :

١-قد تتغير قيمة المنطقة كمياً من اقل ايجابية الى اكثر ايجابية وقد تتغير كيفياً من ايجابية الى سلبية

٢-قد تتغير شدة الكميات الموجهة او تتغير وجهتها

٣-قد تصبح الحدود الاكثر صلابة او ضعفاً وقد تظهر حدود وتختفي اخرى

٤-قد تتغير الخصائص المادية للمنطقة

نمو الشخصية

لم يقدم ليفين نظرية في النمو لكنه قدم وصفاً للمشكلات التي ينبغي للنظرية ان تشغلها

ان ليفين لا يرفض فكرة ان الوراثة والنضج يلعبان دوراً في عملية النمو وهما يدخلان ضمن نطاق الوقائع البيولوجية ولهذا وضعهما ليفين في نظريته خارج نطاق حيز الحياة ضمن الظواهر الفيزيقية والاجتماعية والتي تم تجاهلهما ، بينما ركز على الظواهر النفسية التي توجد في حيز حياة الشخص .

وقد اشار ليفين الى بعض التغيرات السلوكية التي تحدث خلال ارتقاء الشخص ونموه وهذه التغيرات تشمل ما يلي :

١-تنوع نشاطات الشخص وانفعالاته وحاجاته وعلاقاته الاجتماعية كلما يتقدم في السن حتى يصل الى سن معين ثم بعد ذلك قد يتقلص هذا التنوع في مراحل متقدمة

٢-تقسم الوحدة السلوكية لدى الشخص كلما تقدم في العمر بالتعقيد ويطرأ عليها نوع من التنظيم ، ويصبح السلوك اكثر تدرجاً في بنائه الهرمي فالصغير يرغب باللعب لغرض الاستمتاع المستمد من هذا النشاط لكن كلما تقدم به العمر يصبح اللعب وسيلة لبلوغ اهداف اخرى اكثر اهمية لديه

٣-حرية الشخص الكبير بالحركة اكثر من حرية الشخص الصغير ويصبح الزمن اكثر امتداداً مع تقدم العمر فالصغير يعيش حاضره ومع تقدمه بالسن يبدأ يفكر بماضيه والتخطيط لمستقبله

٤-يتضمن نمو الطفل التغيرات في تبادل الاعتمادية بين انشطته المختلفة فقد يكون سلوكه محكوماً بالحث بمشاعر الطفولة لكن عندما يتجه نحو مرحلة الرشد تصبح افعاله اكثر استقلالية وتميز واذا حدث لسلوك الطفل نوع من الاستقلالية والتعدد في افعاله يحدث شيء من التكامل وهذه النشاطات الكلية لدى الشخص تتناقص مع تقدم العمر

٥-هناك علاقة وثيقة بين تقدم الشخص في العمر وقدرته التمييزية بين مستويات الحقيقة واللاحقيقة

الانسان عند ليفين

تعد الدوافع من اهم الانجازات التي تميز المجاليين التي تميزهم عن الجشطالتين اذ يقول المجاليون انه يحدث في اثناء تفاعل الفرد ببيئته او نتيجة لحالة الفرد الفسيولوجية ان يشعر برغبة في تحقيق حاجة فيختل التوازن بين مناطق المجال الحيوي ومناطق التكوين النفسي ، وينتج عن ذلك نوع من شعور الفرد بالتوتر يدفعه الى القيام بنوع من السلوك لاشباع الرغبة والتخلص من التوتر ،

يذكر ليفين ان اشباع الفرد لحاجاته ورغباته يشعره بالارتياح واننا يمكن ان نغير من دافعية الافراد عن طريقين الاول : ان نغير الحاجات والميول والقيم ، والثانية : هي ان نغير السبل التي تشبع بها الحاجات او الميول ، ويبين ليفين انه يمكننا ان نغير من حاجات الافراد وفقاً لاملاء مصادر خارجية معينة